# القرآنيون وأهم شبهاتهم (دراسة نقدية)

**علي أحمد ناصح***

أستاذ مشارك بـــجامعة قم

**وفاء نصرالله**

طالبة الدكتوراه في علوم القرآن و الـــحديث بـــجامعة قم

(۱۹۳-۲۱٦)

تاريخ الاستلام: ۹۰/۰۹/۲۰؛ تاريخ القبول: ۹۲/۱۲/۱٤

**الـــملخّص**

يتناولُ هذا الـــمقال الآراء الـــحديثية والقرآنية لتيارٍ إسلامي نشأ بين أهل السنة وسمي بالقرآنيين، ولد هذا التيار في الهند ثم انتقل إلى مصر والعالم العربي. يعتقد أصحاب هذا التيار أن القرآن هو الـــمرجع الوحيد الذي اشتمل على جميع قضايا الدين، ولا يؤمنون بحجية السنة كمرجع للتشريع لسببين: الأول لأنها ليست وحيا كوحي القرآن، الثاني لأنها تعرضت للوضع بسبب التأخر في التدوين، وهم يدعون إلى عصرنة القرآن والإصلاح الديني، ففسروا القرآن بمنهج عقلي يعتمد على التدبر والاجتهاد الـــحر ، مما جعلهم يأوّلون حقائق القرآن الغيبية إلى ظواهر طبيعية حسية لتأثرهم بالعلوم التجريبية، وأنكروا دور السنة في التفسير، ورأوا أن القرآن لايحتاج إلى التفسير؛ لأن التفسير يكون للشيء الغامض، والقرآن مبين وميسر للفهم، ولايحتاج لأكثر من التدبر في آياته، فلا اعتبار لديهم لدور الروايات في التفسير ولا لأقوال الـــمفسرين، فأكثر استدلالاتهم قائمة على الـــمغالطات. هذا الـــمقال يقوم بتعريف أشهر طوائف القرآنيين وزعمائهم واتجاهاتهم الفكرية والعقائدية، وتناقش شبهاتهم فيما يتعلق بحجية السنّة النبوية والقرآن الكريم.

**الكلمات الدليلية:** القرآنيون، الأحاديث، التشريع، الوحي، النسخ.

* البريد الإلكتروني للكاتب المسؤول: aliahmadnaseh@yahoo.com

Archive of SID

www.SID.ir

**الـــمقدمه:**

رغم تأكيد القرآن الكريم على أهمية السنّة النبوية ودورها في التشريع من خلال جملة من الآيات القرآنية التي فرضت طاعة الرسول(ص) والتأسّي بسنته الـــمباركة قولاً وفعلاً، وجعلت تلك الطاعة من شروط اعتناق الدين والعمل بآيات الذكر الـــحكيم، ومع ذلك فإن السنة الـــمطهرة كانت هدفا لأعداء الإسلام منذ زمن بعيد، فمحاولة الفصل بين القرآن والسنة النبّوية أمرٌ ترجع جذوره إلى اللحظات الأخيرة من حياة النبي الأكرم(ص).

لكن هذه الـــمحاولة باتت لتتجدّد مرةً أُخرى في السبعيّنيات من القرن التاسع عشر الـــميلادي بقالبٍ جديد عن طريق من عُرِفوا بـــ (القرآنيين) أو (أهل القرآن)، فمن هم القرآنيون؟ و ماهي أهم اتجاهاتهم الفكرية؟ وما هي أشهر طوائفهم؟ هذا الـــمقال سوف يُـــجيب عن هذه التساؤلات ويُعالـــج أهم مغالطات القرآنيين بأدلة علماء الفريقين العقلية والنقلية.

**نشأة القرآنيين في القارة الهندية:**

في نهاية القرن التاسع عشر الـــميلادي، بدأت تغزو الهند الدعوة إلى الاعتماد على القرآن ونبذ السنة في التشريع الاسلامي، عُرف هؤلاء باسم أهل القرآن أو القرآنيين .

استفحلت أفكار القرآنيين في القارة الهندية وانتقلت إلى بعض الدول الإسلامية على رأسها مصر، التي لم يبلغ فيها القرآنيون التنظيم القوي كما في الهند.

يبتني فكر القرآنيين على اعتبار أن القرآن الكريم هو المصدر الوحيد للتشريع في الإسلام، وإنكار عصمة النبي (ص)، على إعتبار أنه بشر يجوز عليه الخطأ والسهو والنسيان، فلاوحي عندهم إلا وحي القرآن وبالتالي لايعتقدون بحجية الأحاديث المنسوبة للنبي (ص).

وقد مهَّد لظهور جماعة القرآنيين، حركة العصرنة والتجديد التي قادها أحمد خان بين مسلمي الهند، وكان متعاوناً مع الاستعمار البريطاني، فحين ثار الهنود الـــمسلمون في دهلي على الاستعمار البريطاني سنة ١٨٥٧م، وقف أحمد خان ضدّ هذه الثورة.

قام أحمد خان بالتعاون مع آغا خان الثالث، إمام الإسماعيلية الآغاخانية، وبتمويله السخي قام بافتتاح أول (جامعة إسلامية عصرية) في عليكرة.

Archive of SID

www.SID.ir

أما منهج أحمد خان القرآني فهو يفسِّر آيات القرآن تفسيراً عقليّاً محاولاً توفيقها مع العصر الحديث، فيؤوّل المعجزات المذكورة في القرآن تأويلاً مخالفاً لما عليه المسلمون، كما حاول تفسير آيات الجنة والنار تفسيرات رمزية تمثيلية، خلاف مضمونها الظاهري، كما رفض أحاديث علامات الساعة، ورفض الاعتقاد بأن المسيح ليس له أب فهو يعتقد أنّ له أباً وأماً. وقد كان أحمد خان بمنهجه هذا أوّل من اختطّ طريق الاعتماد على القرآن فقط، وحاول فهمه فهماً عصرياً، والتشكيک بالأحاديث والأخبار والدعوة لغربلة التراث الروائي (رستم ، ٢٠٠٨: ٣٧٦).

**الجذور التاريخية للقرآنيين:**

يعتقد بعض الباحثين أن فكرة إقصاء السنة ظهرت لأول مرةٍ علي يد الخوارج الذين رفضوا إقامة حد رجم الزاني المحصن، ومسح الخفين وغيرها من التشريعات المنقولة عبر الرواية عن الرسول(ص) والتي غير موجودة في القرآن.

أما في العصر الحديث فظهرت فكرة إنكار السنة في الهند إبّان الاحتلال الانكليزي على يد أحمد خان الذي وضع شروطاً تعجيزية لقبول الحديث مما جعله ينكر أغلب الأحاديث، ثم تلاه عبد الله جكرالوي في باكستان الذي كان يشتغل بدراسة الحديث، ثم اصطدم بالعديد من الشبهات حوله، فتوصّل في النهاية لإنكار كافة الأحاديث النبوية و أسّس جماعة تسمى أهل الذكر والقرآن، دعا من خلالها إلى أن القرآن هو المصدر الوحيد للتشريع؛ وتبنّى نفس الفكر أحمد الدين الأمر تسري، مؤسس جماعة أمة مسلمة ، كان يدعو فيها لأفكاره؛ وأخيراً غلام أحمد برويز الذي كان سبباً لتحوله إلى فكر القرآنيين تفسير إحدى الآيات القرآنية (الأحزاب،٦٩) التي عقبها روايةٌ تفسيرية مروية عن أبي هريرة.(الهي بخش، ١٩٨٩ م: ٥٤،٥٠).

واتفقت المصادر التي بحثت عن نشأة القرآنيين في الهند وانتشارهم إلى بقية المناطق الإسلامية وإدلائهم بالآراء المخالفة للدين هم الثمرة التي بذر بذورها أعضاء حركة أحمد خان في الهند، استجابة لمخططٍ انكليزي.

Archive of SID

www.SID.ir

**أبرز شخصيات القرآنيين في القارة الهندية**

• يعد عبد الله بن عبد الله الجكرالوي، مؤسس جماعة أهل الذكر، على رأس زعماء القرآنيين في باكستان. ولد عبدالله في نهاية العقد الثالث من القرن التاسع عشر الميلادي، وكان بارعاً في المناظرة والجدل وكثير الإهانة للتراث الاسلامي، لذلک حمل ذكره بين الناس، وقد كان له مؤلفات كثيرة منها: تفسير القرآن بآيات الفرقان، ترجمة القرآن بآيات الفرقان، رَدّ النسخ المشهور في كلام الرب الغفور، والبيان الصريح لإثبات كراهة التراويح. فجكرالوي هو أحد المتأثرين بأحمد خان، وكان مما ابتدعه أنه شرّع لمؤيديه طريقة جديدة للصلاة وقال: إن الأذان والإقامة بالشكل الذي يؤديه المسلمون بدعة.

• أحمد الدين الأمرتسري: مؤسس فرقة الأمة الإسلامية المولود ١٨٦١م بمدينة آمرتسر بالهند. ومن مؤلفاته: معجزة القرآن، تفسير بيان للناس، وكان ناقداً لاذعاً لميراث المسلمين، توفي ١٩٣٦م.

• حافظ محمد أسلم جراجبوري: ولد سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨٠م، و كان من أركان القرآنيين البارزين، من مؤلفاته : الوراثة في الإسلام، حياة عمرو بن العاص، تاريخ نجد، تاريخ القرآن، تاريخ الأمة الإسلامية، عقائد الاسلام؛ توفي ١٩٥٥م في الهند.

• غلام أحمد برويز: رئيس جمعية أهل القرآن و مؤسس حركة طلوع الإسلام، ولد غلام أحمد سنة ١٩٠٣م في الهند، ونشأ في بداية حياته متأثراً بالصوفية، أصدر سنة ١٩٣٨ مجلة طلوع الإسلام، وكان يتميز باطلاعه الواسع على الأفكار الأوربية، ويرى وجوب صبغ الاسلام بها؛ إضافة إلى ذلک يعتقد أن النظريات العلمية حقائق لاتقبل الجدل والمناقشة، لذا يجب تفسير القرآن بمقتضاها، مثل القول بالتطور في وجود الخلق وإنكار خوارق العادات. لكثرة مؤلفاته سماه البعض (مؤلف الحركة القرآنية)، من مؤلفاته: تبويب القرآن وهو معجم لمعاني القرآن، أنا والرب، إبليس وآدم، المجتمع المسلم، عالم الغد، الحركة القاديانية وختم النبوة، القرآن والدكتور محمد إقبال. طرح أفكاره للإستفتاء بها أمام العلماء؛ فأفتى ما لايقل عن ألف عالم من علماء الدين في باكستان والهند والشام والحجاز بتكفيره وخروجه عن الاسلام، توفي سنة ١٩٨٥م. (دانشنامه جهان اسلام، ٥٨٠ ، ش ٢٧٣٢)، (http://www.tolueislam.com )

Archive of SID

www.SID.ir

• جعفر شاه بلواري: أحد زعماء جماعة طلوع الإسلام، ومن الـمكثرين في الكتابة عن آراء القرآنيين في الوقت الـحاضر، له مؤلفات عديدة منها: إتمام السنة، ورياض السنة، والدين يسر.

• محمد رمضان: أحد تلاميذ عبد الله جكرالوي، ومن أهمّ أعماله إصدار مجلة بلاغ القرآن التي لاتزال تـحمل آراء بعض القرآنيين إلى الآفاق الباكستانية، وله مؤلفات منها: (صلاة القرآن كما علّم الرحمن)، توفي سنة ١٩٣٩م.

• چراغ علي: تأثر بأفكار أحمد خان، وكان يطالب بإعادة تدوين الفقه الاسلامي من جديد، وعن قواعد الـجرح والتعديل، والـمعايير التي وضعها علماء الـحديث لتمييز الـحديث الصحيح من السقيم، كان يقول: لاحاجة إليها لتمييز صحيح الـحديث من سقيمه، لأن الـحديث في حد ذاته شئٌ لايمكن الاعتماد عليه.

**نشأة القرآنيين في مصر**

يُعْتَبَرُ الدكتور أحمد صبحي منصور الزعيم الروحي للقرآنيين في مصر والعالم العربي. يعتقد الدكتور منصور أنّ جذور القرآنيين بدأت منذ حركة الشيخ محمد عبده الإصلاحية عام ١٩٠٥م، فيقول: إن محمد عبده رفض الـحديث والتصوّف، وانتقد البخاري، وأنكر الشفاعة، كما أن تلميذه رشيد رضا خالف مبادئه، وتعاون مع السلفية، وهو أستاذ لـحسن البنا، مؤسس جماعة (الإخوان الـمسلمين)، ثم قال: إن آثاراً من مدرسة محمد عبده ظلت باقية، وآخر من كان فيها الشيخ محمود شلتوت، شيخ الأزهر السابق الذي توفي في ستينات القرن الـماضي، وقبله الشيخ مرتضى الـمراغي، شيخ الأزهر في الأربعينيات. عمل أحمد منصور بالتدريس في الأزهر ١٩٧٧م، واصطدم بعلماء الدين السنة من الصوفية والسلفية الذين اضطهدوه، وفصل عن عمله سنة ١٩٨٧م، وأُدخل السجن بتهمة إنكاره للسنّة، ثم عمل بعدها بشكلٍ مستقل يدعو لأفكاره في مركز ابن خلدون بمصر. وفي عام ٢٠٠٢م اضطر للهجرة لأمريكا لاجئاً سياسياً بعد إغلاق مركز ابن خلدون، وظهر في أمريكا على ساحة الانترنت العربي داعياً لـمنهجه الـجديد، فأسس الـمركز العالـمي للقرآن الكريم «IQC» في ولاية فيرجينا، وموقعه على الانترنت

Archive of SID

www.SID.ir

(http://www.ahl alquran.com/arabic/main)، فمن خلاله بدأ ينشر مقالاته ومؤلفاته للتعريف بـــمنهجه والدعوة إليه.

**أهم كتبه ومؤلفاته:**

اشتهر احمد منصور بكثرة التأليفات، فمن أهمّ كتبه: الزكاة، والسيد البدوي بين الـــحقيقة والـــخرافة، وحق الـــمرأة في رئاسة الدولة الاسلامية، ووظيفة القضاء بين الاسلام والـــمسلمين، وإنكار السنة في مقدمة صحيح مسلم، والصيام ورمضان :دراسة اصولية تاريـــخية، وليلة القدر بين القرآن و علم الـــحديث، وأسس البحث التاريخي، وحرية الرأي بين الاسلام والـــمسلمين، والـــمسلم العاصي، والصلاة بين القرآن الكريم والـــمسلمين، ولاناسخ ولامنسوخ في القرآن الكريم، والقرآن وكفى، وحد الردة، والتأويل.

يعتقد بعض الباحثين أن الدعوة لإنكار السنة في مصر بدأت في عهد محمد علي باشا، عندما بدأت البعثات العلمية تغدو وتروح لتلقّي العلم في إيطاليا؛ وأظلم الـــجو أكثر من ذي قبل بعد وصول جمال الدين الأفغاني الذي أحل رابطة الوطن محل رابطة الدين، ودعا لوحدة الأديان الثلاثة، ثم تبعه محمد رشيد رضا في مجلته الشهيرة (الـــمنار)، ثم تلميذه محمد عبده الذي صاغ مبادئ الـــحزب الوطني بمساعدة الـــمستشرق بلنت، على أنه حزب سياسي داعياً للفصل بين الدين والدولة . ثم أخذ على تطويع الشريعة لتتقبل مبادئ الـــحضارة الأوربية، لاسيما بعد توليه منصب الإفتاء بدعوى الإصلاح الديني، الذي حدّده تلميذه مصطفى عبد الرزاق في ثلاثة أمور:

- تحرير الفكر من قيد التقليد، ومن أحكام زعماء الدنيا وزعماء الدين.
- اعتبار الدين صديقاً للعلم، إذ لكلٍ منهما وظيفة يؤديها.
- وجوب أن يكون القرآن هو الأصل الذي تحمل عليه الـــمذاهب و الآراء في الدين. (مزروعة، ٢٠٠٥م: ١١٤)

ومن خلال جامعة القاهرة ثم الـــجامعة الأمريكية البروتستانيتية الإنجيلية بالقاهرة فتحت الأبواب لعشرات الـــمستشرقين الذين وفدوا إلى مصر للتدريس فأعدوا أجيالاً مازالوا هم طليعة الكتاب ورجال التدريس، فتوالى على رئاسة الـــجامعة نفرٌ كثيرٌ من منكري السنة. وانقسم هؤلاء إلى **ثلاثة أقسام:**

- قسمٌ هدف إلى نبذ الدين وهدم كل مايمت بصلةٍ إلى الله.

Archive of SID

www.SID.ir

- قسمٌ أنكر السنة إجمالاً مدّعياً أنّ القرآن فيه ما يكفي لتشكيل الـــحياة.
- قسمٌ أنكر بعض السنة وأخذ بعضها مما يتوافق مع هواه وعقله (أحمد، ٢٠٠٩م: ٥٤)

**أبرز شخصيات القرآنيين في مصر**

- أحمد صبحي منصور، كان يعمل استاذاً في جامعة الأزهر، فتم فصله بسبب انـــحرافاته، غادر مصر إلى أمريكا، واستقر بها، ومازال ينشر أفكاره منها عبر الانترنت العربي على موقع خاص بالقرآنيين.
- أمين يوسف علي، الزعيم السابق للقرآنيين بمنطقة الـــمطرية بالقاهرة، كان يعمل خطيباً بـــمساجد وزارة الأوقاف، وهو أحد الذين تمّ حبسهم في قضية هذا التنظيم عام ٢٠٠٢م.
- إيهاب عبده، صاحب كتاب (استحالة وجود عذاب في القبر)
- علي الـــمندوة السيسي وهو أحد الذين تم حبسهم عام ٢٠٠٢م.
- ويعد الدكتور حسن الترابي من السودان من زمرة هؤلاء، ومن مؤلفاته :(تاريخ التجديد الاسلامي).

**الـــمنهج القرآني للقرآنيين:**

منهج القرآنيين في تدبر القرآن منهج عقلي يعتمد على فهم القرآن بالقرآن، ويرفضون كلمة "تفسير" للقرآن، حيث يعتقدون أن التفسير يكون للشيء الغامض أو الـــمعقّد، بينما القرآن ميسّرٌ للفهم والتدبّر، كما يرفض القرآنيون روايات وأسباب النزول أو التفسيرات الـــمذكورة في كتب التراث، فهم يرون أن عامة الـــمسلمين يقدّسون تفسيرات التراث حتى وإن تعارضت مع القرآن.

**أهم أفكارهم ومعتقداتهم:**

- الـــحديث ليس مصدراً للتشريع: لايعترف القرآنيون بوجود وحيٍ ثانٍ مـــع القـــرآن، وكلام النبي ليس وحياً من الله، وبالتالي فهو غير ملزم للمسلمين، ولايعترف القرآنيون بنسبة الأحاديث للرسول(ص)؛ لذلك يعتقدون بحجية السنة الفعلية دون القوليـــة لأن الأحاديـــث تعرضت للوضع والتحريف، فلم تدّون إلاّ بعد وفاة النبي(ص) بقرنين من الزمن ولأنها ليست جزءاً من الدين، فقد نـــهى النبي عن تدوينها وكتابتها وقد خـــالف الـــرواة وجـــامعوا

Archive of SID

www.SID.ir

الحديث كالبخاري ومسلم أمرَ النبي(ص) في هذا النهي فعصوا الله . فلو كانت السنة وحياً ومصدراً للتشريع وجزءًا من الدين لما نهى النبي عن كتابتها، وهذا ماالتزم به الخلفاء الراشدون على رأسهم أبو بكر وعمر حين منعوا تدوين الحديث ( للمزيد انظر: على الشهرستاني ،١٤١٨هـ ) وحبسوا بعض المحدثين في المدينة وعذّبوهم بسبب روايتهم للحديث (ويكيبيديا).

- لايؤمن القرآنيون بعصمة النبي، فهو برأيهم بشر يجوز عليه أن يخطئ أو يصيب، باستثناء تبليغه للآيات القرآنية فهو معصومٌ من السهو والخطأ وفقاً للنص القرآني.
- لايؤمن القرآنيون بعدالة الصحابة، ويرون أن مجرد رؤيتهم للنبي لاتكسبهم العدالة، فمنهم الفاسق والمنافق وضعيف الإيمان، كما فيهم المؤمنون الصالحون.
- لايعتقد القرآنيون بأن النسخ في القرآن الكريم بمعنى الحذف والإلغاء، وإنما بمعنى الإثبات والكتابة؛ لأن الحذف يتعارض مع كون الآيات محكمة، والنسخ بمعنى الإلغاء يستلزم التناقض والاختلاف، وهذا لايوافق قوله تعالى: (ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً).
- القرآن جامعٌ لكل مايحتاج إليه البشر، فلاحاجة للسنة، ويستندون بالآية: (مافرطنا في الكتاب من شيء).
- عدم حاجة القرآن للتفسير، لأن التفسير يكون للأمور الغامضة والمعقدة، أما القرآن فهو تبيانٌ لكل شيء فلابد أن يكون بيّناً.
- نفي كل ما يتعلق بالأمور الغيبية وإنكار المعجزات.
- لامعجزة للنبي(ص) سوي القرآن.
- الطعن في بعض الحدود الشرعية كحد رجم الزاني المحصن .
- نفي الحجاب للمرأة.

**يمكن أن نحدِّد منهج القرآنيين في البحث بالنقاط التالية:**

- تحديد أفكار مسبقة ثم اللجوء إلي النصوص لإثباتها واستبعاد ما يخالفها.
- تحليل الإسلام ودراسته بعقليّة أوروبية ماديّة، اعتماداً على القيم. والمقاييس الغربية المستمدّة من الفهم المحدود والمغلوط الذي لايدرک حقيقة الاسلام.

Archive of SID

www.SID.ir

- عدم استيعاب المضامين الشرعية الصحيحة بسبب الجهل باللغة العربية.
- الاعتماد على الضعيف الشاذ من الأخبار، وغضّ الطرف عن الصحيح والثابت بهدف إثراء اتجاهاتهم الفكرية بالدليل النقلي، رغم زعمهم بظنية صدور الأحاديث وعدم القول بحجيتها.
- الأخذ بآيةٍ للاستشهاد بها دون النظر إلي بقية الآيات المتحدة الموضوع.
- تجريد المضامين الشرعية عن اصطلاحها الشرعي وحصرها بالمعنى اللغوي كالطواف بمعنى (التردد بين الحين والآخر).

**أسباب شبهات القرآنيين:**

- تأخّر تدوين السنة.
- السنة ليست لفظ الرسول(ص).
- إن الله لم يتكفل بحفظها كالقرآن.
- إنّ النبي(ص) نهى عن تدوين الحديث.
- الصحاح مليئة بالأحاديث الموضوعة والضعيفة.

**نتائج شبهات القرآنيين**

- نفي أنّ للنبي وحياً غير القرآن فسنته ليست جزءًا من الدين.
- لامعجزة للنبي(ص) سوى القرآن.
- لاطاعة لرسولٍ قد مات.
- إنكار أن ليس لعيسى(ع) أب.
- نفي كل ما يتعلق بالمعجزات.
- التشكيك في المسلّمات.
- التهوين من قدسية القرآن.
- لاتفسير للقرآن غيراللغة.
- انكار الجنة والنار والملائكة والجنّ.

Archive of SID

www.SID.ir

**أ . نقد القرآنيين على أساس المنهج التفسيري للعلامة الطباطبائي (ره):**

القرآنيون يعتقدون أن القرآن لايحتاج لتفسيرٍ من أحد، لأن التفسير يكون للشيء الغامض أو المعقَّد، بينما القرآن ميسّر للفهم والتدبر، لذلك يرفضون روايات أسباب النزول ولايعتقدون بحجية تفسير النبي(ص) أو التفسيرات في كتب التراث، يقول أحمد صبحي منصور: بيان القرآن في داخل القرآن، القرآن كتابٌ مبينٌ في ذاته، وآياته موصوفة بالبينات، أي: التي لاتحتاج في تبيينها إلا لمجرد القراءة والتلاوة والتفكر والتدبر فيها، والآيات التي تتحدث عن بيان القرآن ووصفه بالكتاب المبين أكثر من أن تحصى، مع ذلک فإنّ منا من يعتقد: أن كتاب الله غامض، مبهم، يحتاج إلى من يفسره، والمؤمن بالقرآن لايبادر باتهام كتاب الله بأنه فرط، وجاء غامضاً يحتاج لما يبينه، وجاء مجملاً يحتاج لمن يفصله... .

ويقول تعالى: (ونزلنا عليک الكتاب تبياناً لكل شيء)، والتبيان هو التوضيح لما يستلزم البيان والتوضيح، والشيء الواضح بذاته لايحتاج لما يبينه ويوضحه، وإلا كان فضولاً في الكلام، وثرثرة لاحاجة إليها.

والله سبحانه وتعالى أنزل كتابه محكماً لامجال فيه للّغو والتزيد، لذا كان البيان فيه لما يتطلب البيان، وكل شيءٍ يستلزم البيان والتوضيح جاء في القرآن بيانه وتوضيحه، ومالیس محتاجاً لبيان فلا مجال فيه للتفصيل والبيان (منصور، ٢٠٠٦م: ٣٤).

**للجواب على هذه الشبهه نقول:** إن المراد بتفصيل وتبيان الكتاب لكل شيء يعني: تفصيل وتبيان القرآن لكل شيء من أحكام هذا الدين، كقواعد كلية مجملة، وأما تفاصيل تلك القواعد وما أشكل منها فالبيان راجع إلى تبيين رسول الله(ص) وإليك التوضيح:

أجمع المفسرون على أن القرآن الكريم هو المنبع الأساسي لتفسير آيات القرآن، لكن مع ذلک هل يجوز تفسير القرآن بالقرآن دون الاعتماد على مصادر تفسيرية أخرى أم أنّ القرآن هو المصدر الوحيد الذي ينبغي الاكتفاء به؟ هل نحتاج في تفسير بعض الآيات للرواية التفسيرية عن المعصوم(ع) ؟

العلامة الطباطبائي(رض) يعتقد من جهةٍ أنّ آيات القرآن التي تدعو الناس عامةً، من كافر أو مؤمن، ممن شاهد عصر النزول أو غاب عنه، هذه الآيات التى تدعوهم إلى تعقّل القرآن وتأمّله والتدبر فيه كقوله تعالى (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه

Archive of SID

www.SID.ir

اختلافاً كثيرا) نساء/٨٢ تدلّ دلالةً واضحة على أن المعارف القرآنية يمكن أن ينالها الباحث بالتدبر والبحث، ويرتفع به ما يتراءى من الاختلاف بين الآيات والمعنى لإرجاع فهم معاني الآيات إلى فهم الصحابة وتلامذتهم حتى إلى بيان النبي(ص)؛ فإنّ ما بينه إمّا أن يكون معنى يوافق ظاهر الكلام، فهو مايؤدي إليه اللفظ ولو بعد التدبّر والتأمل والبحث، وإما أن يكون معنى لايوافق الظاهر ولا أن الكلام يؤدي إليه، فهو مما لا يلائم التحدي ولاتتم به الحجة.

ومن جهة أُخرى يعتقد العلاّمة أنه لاسبيل لإنكار الروايات في التفسير، لأنها تلعب دورين أساسيين: دور التعليم ودور التبيين؛ فدور النبي(ص) التعليمي يبرز من خلال هداية المعلم الخبير ذهنَ المتعلّم وإرشاده إلى ما يصعب عليه العلم به والحصول عليه، لا مايمتنع فهمه من غير تعلُّم، بل إن التعلم تسهيلٌ للطريق وتقريبٌ للمقصد، لا إيجادٌ للطريق وخلقٌ للمقصد، والمعلم في تعليمه إنما يروم ترتيب المطالب العلمية ونضدها على نحوٍ يستسهله ذهن المتعلم ويأنس به، فلا يقع في جهد التركيب وكدّ التنظيم، فيتلف العمر وموهبة القوة، أو يشرف على الغلط في المعرفة، وهذا مايدل عليه قوله تعالى: (وأنزلنا إليک الذکر لتبيّن للناس ما نُزِّل إليهم) نحل/٤٤، وقوله تعالى: (ويعلمهم الكتاب والحكمة) الجمعة/.٢

فالنبي يعلّم الناس مايدل عليه القرآن بنفسه، ويمكن للناس الحصول عليه، وإلاّ فإنه لامعنى لقوله تعالى: (وهذا لسانٌ عربيّ مبين)؛ وأما الدور التبييني للروايات فإنه ينحصر بآيات الأحكام وتفاصيلها التي لاسبيل إلى تلقيه من غير بيان النبي(ص)؛ كما أرجعها القرآن إليه في قوله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا) الحشر/٧، ومافي معناه من الآيات كتفاصيل القصص والمعاد (الطباطبائي ، ١٣٩٣: ٣/٨٥ ).

ويؤكّد العلامة الطباطبائي أنّ التفسير الروائي للمعصومين(ع) له دورٌ تعليميٌّ فيقول: الآيات تفسّر بعضها بعضاً ودور النبي(ص) وأهل البيت(ع) بالنسبة للقرآن دور المعلم المعصوم الذي لايخطئ، وتفسيرهم للقرآن بالقرآن لن يخالف ما أراده الله من آياته (الطباطبائي، ١٣٧٢: ٦٠ ).

Archive of SID

www.SID.ir

يبيّن العلامة الطباطبائي أن ما يؤكد الدور التبييني للنبي(ص) في تفسير القرآن أن المعارف الإلهية لايناالها الناس بلا واسطة فلابدّ من بعث واحدٍ منهم للتبيين والتعليم (الطباطبائي، ١٣٩٣: ٢٦/١٢ )

إنّ ما يرفضه العلامة الطباطبائي ألاّ نلجأ للرواية فنحصر بها معنى الآية، بل يجب أن تنطق الآية بمدلولها، ولكن بالرجوع للرواية يُفسَح أمامنا المجال أكثر، ليضعنا في جوِّ الآية وأفقها الأوسع، وليتّضح ويكتمل المعنى المراد منها، وهذا أمرٌ لامجال لرفضه (معرفت، ١٣٨٥: ١٨).

ففي الآية: ( يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ) بقرة/١٥. التلاوة أمرٌ يختلف عن التعليم، وإلاّ لم يفرّق القرآن بين التلاوة والتزكية والتعليم. وتشير هذه الاية إلى أن على الرسول مسؤوليات من ضمنها التربية والتعليم، (وتعليم الكتاب يكون بتفسيره قولاً وعملاً)، وأن ثمة أمورًا لابد له من شرحها لنا، إذاً ففهمنا وحدهُ غير كافٍ في إدراک كنه بعض الحقائق القرآنية، ومن هنا تتبيّن ضرورة وجود المعلم الذي لايُخطئ، وأنّ مجرد إبلاغ القرآن وتلاوته لايكفي، إذ لو كان كذلک صحيحاً لاكتفت الآية بذكر التلاوة فقط، فيما أنّ هناک آية أوضح دلالة وهي قوله تعالى (وأنزلنا إليک الذكر لتبيّن للناس ما نُزّل إليهم)؛ هذه الآية خير دليلٍ على كون الرسول(ص) مفسراً للآيات، وأنّ القرآن محتاجٌ للتفسير النبوي، وبالنتيجة لايمكننا فهم القرآن فهماً دقيقاً إلاّ عن طريق الرجوع إلى كلام الرسول، ولو في بعض الآيات القرآنية، وأبرزها الآيات التي جاءت مجملة، كالآيات التي تتعلق بالصلاة، بيد أنها لم تتطرّق لكيفيتها أو عدد ركعاتها، فهذه المسألة تؤكد أمرين: أحدهما إثبات وحي للنبي(ص) غير القرآن، وثانيهما حجية التفسير النبوي الذي لايمكن أن يخطئ بمقتضى العصمة وبمقتضى حجية المهمة الإلهية التي أوكل بها بعنوانه المعلم للكتاب.

قال الامام الصادق(ع) :(إن رسول الله(ص) نزلت عليه الصلاة و لم يسم الله لهم ثلاثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله(ص) هو الذي فَسَّرَ ذلک لهم، ونزلت عليه الزكاة و لم يسمّ لهم من كل أربعين درهماً حتى كان رسول الله(ص) هو الذي فسَّر ذلک لهم). (الكليني، ١٤٢٦هـ: ٢٨٧/١)

إن سيرة علماء المسلمين ومفسريهم عبر التاريخ تؤكّد أهمية الروايات في التفسير وتعتبرها منبعاً لاغنى عنه في فهم الآيات؛ وما لاحظناه في كتاب أحمد صبحي منصور هو استفادته

Archive of SID

www.SID.ir

لبعض روايات أسباب النزول لكن دون تصريحٍ بمصدرها، كما بيّن سبب نزول آية الظهار (منصور، ٢٠٠٦ م: ٦٥) بطريقة موافقة تماما لما أجمع عليه المفسرون في كتبهم .

وبناء على ماتقدم فلا يمكن إنكار دور الرواية في حال التأكّد من صحة صدورها عن النبي(ص) والمعصومين(ع) في فهم المراد من الآية، لأنها تضعنا في أُفق وجوّ الآية، فتسهّل علينا السبل لتفسيرها ونيل المراد منها، ولأن دور النبي(ص) في التفسير دور المعلم المعصوم الذي لايخطئ، وهذه مهمّةٌ إلهية أُوكِلَت إليه(ص) بشهادة القرآن والروايات التي لاتسمح المقالة لذكرها.كما لا يمكن إنكار دور النبي(ص) في تفسير الآيات الفقهية وهي الأهم؛ لأننا لايمكن أن نستغني عن تبيين رسول الله(ص) لكثير من الأحكام التي وردت في الآيات بصورة مجملة.

**ب . شبهة أن النبي بشر، يتصرف بمقتضى بشريته فإما يصيب وإما يخطئ:**

(وأما قولهم بأن النبي بشر يتصرف بمقتضى بشريته، فيمكن أن يصيب ويمكن أن يخطئ، لذا لا حجيّة لقوله وحديثه)

إن أفضل ما وجدناه من ردٍّ على هذه الشبهة هو أنّنا لو شككنا في عصمة النبي(ص) امتنع الوثوق به مطلقا، وبالنتيجة انعدم الاطمئنان بصدق رسالته ومعجزته؛ قال تعالى: (وماينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى). يبيّن آية الله جوادي آملي أن هذه الآية لاتدل على أن كل مايقوله النبي الأمين ليس من تلقاء نفسه فلا يزيد ولا ينقص إلاّ بأمرٍ من الله فحسب، وإنّما تدل على أمرٍ آخر، وهو أن نطق النبي(ص) عين الوحي، وهو كلام الله الذي يجري على لسانه المبارک، كما في قوله تعالى: (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) انفال/١٧.

فنطق النبي(ص) هو تكلم ونطق إلهي وضمير (هو) في (إن هو إلا وحيٌ يوحى) يرجع إلي النطق الذي مصدره النبي(ص) والمراد نطق النبي(ص) ونطق النبي(ص) ليس إلاّ وحياً. وليس المقصود أن ما ينطقه النبي هو مماثلٌ للوحي أو أن ما أوحي به نطقه النبي(ص) فيما بعد لأن هذا مسلّمٌ به ولكن الآية تشير إلي أمرٍ آخر وكأن الله سبحانه يقول للنبي(ص) (وما تكلمت إذ تكلّمت ولكن الله تكلّم) (جوادي آملي، ١٣٨٢ش: ١/٦٤ ) .

كما أن عدم القول بعصمته في كامل سنته القولية والفعلية يتعارض وكون الله جعله أُسوةً حسنة دون قيدٍ أو تخصيص بأقواله أو أفعاله أو فيما يتعلق بإبلاغ الرسالة وخارج ذلک،

Archive of SID

www.SID.ir

قال تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا).

**نظرية (جامعية القرآن) عند القرآنيين .... دراسة نقدية :**

**الشبهة الأولى:** ( لاحاجة لنا بالسنة فالقرآن بين الشريعة ): إنّ القرآن كافٍ في بيان قضايا الدين وأحكام الشريعة، ماترک شيئاً ولافرّط في شيء، ومن ثمَّ فلا حاجة لمصدرٍ ثانٍ للتشريع، فالسنة لاحاجة إليها، ولامكان لها بدليل قوله تعالى: (مافرطنا في الكتاب من شيء) أنعام/ ٣٨ وقوله تعالى: (ونزلنا عليک الكتاب تبياناً لكل شيء)

فقالوا: إن هذه الآيات وأمثالها تدل على أن الكتاب قد حوى كل شيء من أمور الدين وكل حكمٍ من أحكامه، وإنه بين ذلک وفصّله، بحيث لايحتاج إلى شيءٍ آخر، وإلاّ كان الكتاب مفرِّطاً فيه، ولما كان تبياناً لكل شيء، فيلزم الخلفُ في خبره سبحانه وتعالى (منصور، ٢٠٠٦م: ٩١) .

يرى آية الله جوادي آملي في تفسير (ما فرطنا في الكتاب من شيء)، أن المراد من جامعية القرآن هو أنّ الله لم يترک أمراً من شأنه أن يؤمن سعادة البشر إلا وقد بينه في القرآن الكريم، فكل الكليات والأصول الدينية وجزئياتها التي من شأنها أن تؤمّن سعادة البشر بيّنها في القرآن الكريم ، إمّا على نحو التفصيل في بعض الآيات، أو على نحو الإجمال في آياتٍ أُخرى، وأوكل مهمة تبيين الجزئيات في الآيات المجملة إلى المخاطب الأول الذي هو أدرى بتفسير القرآن ومعرفه حقائقه، كما قال رسول الله(ص): (إنما يعرف القرآن من خوطب به)؛ ويعتقد أن القرآن الكريم لم يبين كل حقائق العالم من علومٍ تجريبية: كالرياضيات والفيزياء والفنون، والعلوم الانسانية، وعلم الكلام، والفلسفة وأمثالها، إلاّ أنه ربّما تكون هذه العلوم في مرتبةٍ أعلى وهي باطن القرآن وحقيقته العليا (أم الكتاب)، لأن جميع هذه الحقائق والعلوم مكنونةٌ فيه، ولكن لايمكن أن ينالها إلا الإنسان الكامل والذي يراد منه المعصومين الذين بالرجوع إليهم يمكن تحصيل تلک الحقائق والمعارف القرآنية (جوادي آملي، ١٣٨٢ش: ١/ ٢٢٥) .

بينما يرى العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية أنه يمكن أن يكون المقصود من الكتاب في الآية: القرآن الكريم أو اللوح المحفوظ، فإن كان المراد به القرآن المجيد فإنه

Archive of SID

www.SID.ir

لـــما كان كتاب هداية إلى صراطٍ مستقيم على أساس بيان حقائق الـــمعارف التي لاغنى عن بيانـــها في الإرشاد إلى صريح الـــحق ومحض الـــحقيقة، كما قال تعالى: (ونزلنا عليک الكتاب تبياناً لكل شيء).

ويعتقد العلامة أن الـــمراد من تبيان كل شيء في الآية للاحتجاج على الأصول الثلاثة: التوحيد والنبوة والـــمعاد، فهو كتاب هداية؛ لذلک فالـــمراد من تبيان كل شيءٍ يتعلق بهداية الناس، وكل ما يحتاجونه من أجل الهداية لتلک الأصول. ويترتب عليه دون ذلک فوائد أُخرى كالتبحُّر في توحيد الله تعالى، ولطف قدرته، وعنايته بأمر الـــخليقة والنظام العام الـــجاري في العالـــم، ويبين فيه ما في معرفته خيرُ الناس وسعادة عاجلهم وآجلهم، ولايفرط في ذلک (الطباطبائي، ١٣٩٤هـــ: ١/ ٣٢٥ ).

ولا نرى اختلافا بين رأي كل من العلامة الطباطبائي وجوادي آملي، لأن الهداية تـــجُّر إلى السعادة، وهما متفقان على ضرورة الرجوع للسنة الـــمطهرة، سواء سنة النبي(ص)، أو روايات الـــمعصومين(ع)، لأن تفصيل الـــحقائق القرآنية والعلوم التي لايمكن نيلها عن طريق ظاهر الدلالة اللفظية يصعب تحصيلها دون الرجوع لسنة النبي(ص) الذي أوكل مهمة تبيين الآيات وتفسيرها بصريح قوله تعالى (وأنزلنا إليک الذكر لتبين للناس مانزل إليهم)؛ لكن نظرية القرآنيين لجامعية القرآن تستلزم نفي دور النبي(ص)، في تبيين وتفسير القرآن، والأهم من ذلك تفصيل آيات الأحكام التي وردت بصورة مجملة، وهذا يقتضي عدم إلمامهم بكثيرٍ من فروع الدين وتفاصيل أحكامه التي لم يصرِّح بها القرآن الكريم.

يبين الدكتور السيد رضا مؤدب أنّ القول بجامعية القرآن مرتكز على ثلاثة اتـــجاهات: (مؤدب ، ١٣٨٦ش : ٢٧٨)

**الاتـــجاه الأول**: من يقولون بأن القرآن جامعٌ لكل العلوم، بحيث لاتوجد مسألة جزئية إلا وهي موجودة فيه، سواء بما يتعلق بعلم الطب أو الفيزياء والفنون والعلوم الانسانية، كما يعتقد بذلک السيوطي، حيث يقول :«قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء من أنواع العلوم فليس منها بات ولامسالةٌ هي أصلٌ ألا وفي القرآن مايدل عليها، وفيه عجائب الـــمخلوقات وملكوت السموات والأرض» (السيوطي، ١٤٢٦هـــ: ٣٨/٤) .

Archive of SID

www.SID.ir

**الاتـــجاه الثاني**: يعتقد بعض الـــمعاصرين أن القرآن مشتملٌ فقط على الأمور العبادية التي ترتبط بعلاقة الانسان بربه فقط.

**الاتـــجاه الثالث**: وهو ما ذهب إليه العلامة الطباطبائي، وهو القول بالاعتدال، ويراد منه أن القرآن شاملٌ لكل العلوم، ولكن بعض هذه العلوم لايـــمكن تحصيلها بالدلالة اللفظية، فإنا لاهتدي من طريق الدلالة اللفظية للقرآن الكريم إلا على كليات ماتقدم، لكن في الروايات والسنه ما يدل على أن القرآن فيه علم ماكان وما يكون وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، ولو صحَّت الروايات لكان من اللازم أن يكون الـــمراد بالتبيان الأعم مما يكون من طريق الدلالة اللفظية، فلعلّ هناك إشارات من غير طريق الدلالة اللفظية تكشف عن أسرار وخبايا لا سبيل للفهم الـــمتعارف إليها(مؤدب، ١٣٨٦ش: ٢٧٨). ولايـــمكن درك حقيقة تلك الإشارات دون الاستعانة بالروايات.

**ج. شبهة أن النبي غير الرسول**: ومن شبهات القرآنيين أنهم فصلوا شخصية النبي(ص) عن شخصية الرسول؛ ففي الفصل الثاني في كتاب (القرآن وكفى) للدكتور أحمد صبحي منصور يذكر تحت عنوان: القرآن والنبي والرسول) مايلي: «يـــخطئ الناس في فهم الأمر بطاعة الرسول واتباع الرسول، وذلك لأنهم يـــخطؤون في فهم الفارق بين مدلول النبي ومدلول الرسول، فالنبي هو شخص (محمد بن عبد الله) في حياته وشؤونه الـــخاصة وعلاقاته الانسانية بـــمن حوله، وتصرفاته البشرية مـــماكان مستوجباً عتاب الله تعالى له، أما حين ينطق النبي بالقرآن فهو الرسول الذي تكون طاعته طاعةً لله، فلم يأت في القرآن مطلقاً: أطيعوا الله وأطيعوا النبي، لأن الطاعة للرسالة وليست لشخص النبي» (منصور، ٢٠٠٦: ٤٣).

**الرد على هذه الشبهة:**

الهدف من هذه الـــحيلة هو الفصل بين محمد النبي ومحمد الرسول. إن استراتيجية هذه الـــحيلة قائمة على مايلي:

افتراض أن الفرق بين لفظتي (الرسول والنبي) يستلزم الفصل بينهما وهي فرضية خبيثة لادليل عليها، كالقول إنّ تعدّد الأسماء الـــحسنى لله تعالى يعني تعدّده عزوجل، تعالى عن هذرهم.

Archive of SID

www.SID.ir

والهدف الذي يرومون إليه ليس فقط نسف واجتثاث الـــميراث الروائي والسنة النبوية فحسب، وإنما القول بعدم حجية كل أشكال الاتباع للنبي(ص)، فيما يـــخرج عن دائرة تبليغ الرسالة (القرآن).

**وفي دحض هذه الشبهة يـــمكن القول:**

١ ــ هل طاعة الرسول الكريم أقوى أم أنه: (أولى بالـــمؤمنين من أنفسهم)؟ فالـــمعنى الأخير يتجاوز معنى الطاعة إلى آفاقٍ أوسع، قال تعالى: (النبيُّ أولى بالـــمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتـــهم) أحزاب/٦

٢ ــ جاء السياق القرآني ليتحدث مع النبي بصفته الشاهد والـــمبشر والنذير، فقال تعالى في وصف نبيه(ص):(يا أيها النبي إنا أرسلناک شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلي الله بإذنه وسراجاً منيراً) (أحزاب/٤٦) والسياق كما هو واضح لايتحدث عن النبي بما ينحصر في إبلاغه الرسالة فحسب، وإنـــما في شؤون حياته بصورة عامة مما يلزم وجوب اتباعه والانقياد له.

٣ ــ ولأنه لافرق بين الرسول والنبي، فكثير من الآيات تخاطبه (ص) دون أن تشير إلى أي من اللفظين .(فلا وربک لايؤمنون حتى يـــحكموک فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مـــما قضيت ويسلموا تسليما) (نساء/٦٥)

٤ ــ الـــجمع بين مفردتي النبي والرسول في آية واحدة: (الذين يتّبعون الرسول النبيّ الأميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) (الأعراف/١٥٧) (يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملک السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأميّ الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) (الأعراف/١٥٨). كما رأينا أنّ الاتباع الـــمأمور به غير منحصرٍ بأمرٍ دون غيره فهو مطلق.

إن مفهوم الاتباع الذي ورد في الآية الكريمة مرتبط وملتصقٌ بلفظ النبي(ص) .

٥ ــ إن كان ما يدعونه صحيحاً فكيف نفسِّر الآية: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيءٍ فردّوه إلي الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) (نساء/٥٩) بهذا الـــمعنى الذي زعموه؟ وكيف يمكننا أن نطمئن لـــحكم محمدٍ(ص)، لأننا لاندري هل يحكم بيننا بمقتضى رسالته أو بمقتضى نبوّته؟ فالرسول والنبي شخص واحد، ولا ندري هل حكم هذا الشخص بيننا نابعٌ عن الرسالة الواجبة

Archive of SID

www.SID.ir

الطاعة، أم النبوة التي يمكن أن تخطيء بمقتضى بشرية الناطق بها؟ وبالتالي كيف نحرز حجيةً لحكم النبي؟ وكيف نطمئن من أنه صادر عن الله عز وجل؟ وهذا يصدق على جميع الأحكام التي كلف الله بها النبي، وأمره إبلاغها مخاطبا فيها إياه بلفظ النبي(ص).

قال صبحي منصور: (وقد كانت طاعة النبي – وهو في حياته – في إطار طاعة الله فقط، نفهم هذا من قوله :(يا أيها النبي إذا جاءک المؤمنات يبايعنک على أن لايشرکن بالله شيئاً ولايسرقن ولايزنين ولايقتلن أولادهن ...ولايعصينک في معروفٍ فبايعهنّ واستغفر لهنّ الله) (ممتحنه/١٢). ويتابع صبحي منصور: والشاهد في الآية هو قوله تعالي: (يا أيها النبي)، فلو قال (يا أيها الرسول) لكانت طاعته مطلقة، لأنها طاعةٌ للرسالة، ولكنه بوصفه النبي جعل طاعته مقيّدة بالمعروف؛ ولذلک فإنّ كل نبيّ كان يأتي لقومه برسالة يخاطبهم بصفة الرسول ويطلب منهم أن يطيعوه على أساس هذه الرسالة. (منصور، ٢٠٠٦م: ٥٦ ).

**وللجواب على هذه الشبهة نقول:**

إذاً ينبغي بل يجب أن يخاطب الله محمداً(ص) بلفظ الرسول عندما يكلّفه إبلاغ حكمٍ شرعيٍ حتى تكون طاعته واجبة. فإن خاطبه بلفظ النبي فليس على المسلمين امتثال الحكم، لأن محمد النبي يبلّغ الحكم بمقتضى نبوته البشرية، وليس رسالته الواجبة الطاعة!! فكيف يطمئن المسلمون من حكم وجوب الحجاب الذي أمر الله به محمداً(ص) (النبيّ) أن يبلّغه المسلمين كما ورد في قوله تعالى: (ياأيها النبيّ قل لأزواجک وبناتک ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) (أحزاب/٥٩)؟! فربّما يخطئ النبي أو يشتبه في إبلاغنا الحكم!! فرغم أن الله(عزوجل) قال له(ص): قل، فهو بشر، وربما يخطئ في إبلاغ هذا القول أو ينسى منه شيئاً فيقول غيرما أمره الله به، أليس نبياً حين خاطبه الله وليس رسولاً؟! فكان الأجدر أن يخاطب بلفظ الرسول، لا بلفظ النبي، لنكون أكثر اطمينانا من صدق ما يأمرنا به! فلماذا يخاطبه الله بلفظ النبي ليأمره بإبلاغ أعظم حكمٍ شرعيٍ أُمِرت به نساءُ المسلمين!

**د . شبهة لو أنّ السنة جزءًا من الدين لما نهى النبي عن تدوينها:**

إنّ أحمد صبحي منصور يستشهد بالروايات ويعتبرها حجّة عندما تصبُّ في خدمة آرائه الخاصّة، رغم أنه ينكر حجيّة الأحاديث النبوية، ويمنع منعاً باتّاً من يريد المساهمة

Archive of SID

www.SID.ir

فـــي موقعه الإلكتروني أن يذكر حديثاً عن النبي(ص)، فرغم ذلك يستشهد بالسنة لإنكار حجيّة السنة!!

عندما يريد أن يسند رأيه في ثبوت الكذب على رسول الله في حياته يضطر أن يلجأ للأحاديث، لأنه لايجد شاهداً له في القرآن، فيقول في كتابه (القرآن وكفى): «وعلماء الـــحديث يتّفقون على صحة حديث (من كذب عليَّ فليتبوّأ مقعده من النار)وهم يجعلون هذا الـــحديث من الـــمتواتر»!!

وفي تفسير الآية الـــمباركة: (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا) يقول صبحي منصور مستنداً إلى روايات نـــهى النبي عن تدوين الـــحديث التي ثبت وضعها: «روى أحمد ومسلم والدارمي والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الـــخدري قال الرسول: لاتكتبوا عني شيئاً سوى القرآن ومن كتب عني غير القرآن فليمحه.»

«وأخرج الدارمي – وهو شيخ البخاري – عن أبي سعيد الـــخدري أنهم استأذنوا النبـــيَّ في أن يكتبوا عنه شيئاً فلم يأذن لهم ». متى كان صبحي منصور يعتد بالبخاري وغيره مِمَّن سمّاهم أصحاب الدين الأرضي؟

للرد على شبهة أن النبي نـــهى عن تدوين الـــحديث نقول: ولو كان النبي(ص) نهى عن تدوين حديثه أليس من الأولى باتّباع سنته أهل بيته الأطهار(ع) ؟ والواقع والتاريخ يشهد خلاف ذلك، يقول محمد عجاج الـــخطيب: «كان عند جعفر الصادق بن محمد الباقر (١٤٨-٨٠هـــ) رسائل وأحاديث ونسخ، وكان من ثقات الـــمحدّثين» (الـــخطيب، ١٤٢٥هـــ: ٣٥٨).

وروى الـــمفضّل بن عمر الـــجعفي عن الصادق(ع) أنه قال: «اكتب وبثّ علمك في إخوانك، فإن متَّ فأورث كتبك بنيك، فإنّه يأتي على الناس زمان هرج، لايأنسون فيه إلاّ بكتبهم.» (الكليني ، ١٤٢٦هـــ: ٤٢/١)

ومن الثابت الـــمتواتر أنّ أهل البيت(ع) قد أباحوا التدوين؛ إذ كتب الامام علي(ع) صحيفةً عن رسول الله(ص) طولها سبعون ذراعاً بخطّه وإملاء رسول الله (ص) (الأمين العاملي، ١٣٧٠ق: ٩٣/١) إنّه ومن أبرز الأدلة على تأكيد النبي(ص) وإصراره في آخر عمره الشريف على الكتابة وتدوين وصيته لكي لاتضلّ الأمة من بعده، الـــحديث الـــمعروف برزية يوم الـــخميس، والـــمرويّ بطرقٍ عدّة عن عبد الله ابن عباس(رض). (ابن سعد، ٢٤٤/٢، ومهدوي راد، ٢٠١٠م: ٥٥)

Archive of SID

www.SID.ir

كان النبي(ص) يأمر بإبلاغ حديثه ونشره، فقد روي أنه قال(ص): «نضّر الله عبداً سمع مقالتي فبلغها». وكان يكرر قول «فليبلغ الشاهدُ الغائبَ» كلما فرغ من حديثه.

ومنها الحديث المشهور لعبدالله بن عمرو بن العاص، حيث قال: «كنت أكتب كل شيءٍ أسمعه من رسول الله(ص) أُريد حفظه، فنهتني قريش، فقالوا إنک تكتب كل شيءٍ تسمعه من رسول الله(ص) ، ورسول الله بشر يتكلم في الرضاء والغضب، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلک لرسول الله(ص)، فقال: اكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق. (الحاكم النيشابوري ، ١٤١١هـ: ٦/١)

وقد ورد عنه(ص): «اكتبوا هذا العلم، فإنكم تنتفعون به إمّا في دنياكم أو في آخرتكم، وإن العلم لايضيع صاحبه. (متقي هندي ، ١٤٠٩هـ.ق : ١٥٧/١ )

يقول نور الدين عتر:«كذلک وردت أحاديث كثيرة عن عددٍ من الصحابة تبلغ بمجموعها رتبة التواتر في إثبات وقوع الكتابة للحديث النبوي في عهده(ص)» (عتر، ١٤٠١هـ: ٤٠).

كما أن النصوص المدونة بإملاء رسول الله(ص) تثبت أن سنته العملية أكدت على ضرورة الكتابة (مهدوي راد ، ٢٠١٠م: ٨٤ ).

**نقدٌ وتحليل:**

نقول للدكتور منصور أوّلاً لماذا لم يلتزم بما ألزم الناس فيه؟! فقد استشهد بالرواية وهو منكرٌ لحجية الروايات، واستند لأقوال علماء التراث كالدارمي والبخاري والترمذي وغيرهم وهو لايقيم لهم وزناً ولا لأحاديثهم؟ لكن الحقيقة أنه على ما يبدو أن الدكتور منصور لاينكر أصل حجيّة السنّة القولية، بل إنَّما قال به ليس إلاّ نتيجة طبيعيّة لردود أفعال نتجت عما اصطدم به من تاريخ تدوين الحديث عند أهل السنة، وما نتج عنه من مضاعفات، ودليلُنا على ذلک: لو أنّ القرآنيين فعلاً لايعتقدون بعصمة النبي، ولايعتبرون أحاديثه وأقواله خارج الوحي القرآني حجةً، وأنه عندما يتكلم خارج نطاق الرسالة يتكلم بمقتضى نبوته البشرية، فيمكن أن يصيب أو يخطئ، فلماذا يلجأون لتقديم مبرّرات وأدلةٍ أُخرى بهدف إسقاط السنة القوليه عن الاعتبار كالدسّ والتزوير والوضع، فلو أنها بالأصل لاحجّة لها لأنها خارج الوحي القرآني، فلا معنى للسعي إلى إسقاطها من خلال أدلة الوضع والتزوير وكثرة أسباب التحريف التي مرّ بها الحديث عبر التاريخ، فدليلهم على عدم حجيتها كامنٌ في

Archive of SID

www.SID.ir

ذات السنة التي يمكن أن تـــخطئ بمقتضى بشرية الناطق بها، فَلِمَ يتذرّعون بأدلة خارجية؟ فهذا لايسمي إلاّ لغوا وعبثاً وتناقضاً!!

لكن في الواقع نـــحن نرى أن آراءَهم تجاه السنة القولية ليس إلاّ نتيجة صدمةٍ لـــما شهدوا من آثارٍ ومضاعفاتٍ حلّت على ميراثهم الروائي نتيجة منع خلفائهم الراشدين تدوين حديث رسول الله(ص) بعد وفاته، وتأخّر التدوين إلى بداية القرن الثاني الهجري، هذا التأخّر الذي نتج عنه ضياعٌ لطائفة من الأحاديث ووضع في الـــحديث، إمّا على أيدي الـــمرتزقة من عمّال الأمويين أو غيرهم لدوافع شخصية ومنافع سياسية، وقد شهدت بذلك نسبةٌ كبيرة من الأحاديث الـــموضوعة في اُمهات كتب الـــحديث من الصحاح والسنن، كان أكثرها مما صنع في مصانع الأمويين على رأسهم معاوية.

وقد كان سبب اعتناق أكبر زعيم القرآنيين (عبد الله جكرالوي) التيار القرآني هو اصطدامه بحديث لأبي هريرة أثناء قراءته تفسير إحدى الآيات. ( ويكيبيديا، الـــموسوعة الـــحرة )

ونودُّ أن نقول للقرآنيين أنكم أنصفتم في سرد حقيقةٍ لم يجرؤ على قولها غيركم من كشفٍ للواقع الـــمرّ الذي مرّ به الـــميراث الروائي على أيدي الـــخلفاء والـــحكام على رأسهم الراشدون ومن تبعهم من حكام أمويين، لكننا لانوافقكم في إسقاط كل الأحاديث عن الـــحجية والاعتبار، لأنّ في ذلك ضياعاً للكثير من الأحاديث الصحيحة والقطعية الصدور، كما يلوح ذلك من قوة فصاحتها وبلاغتها، وفي ذلك هتكٌ عظيمٌ للدين، لأن حجية السنة من حجية القرآن، فنحن نريدُ أن نعالـــجَ الصَدعَ الذي حلَّ بالـــميراث الروائي النبوي من جرّاء التأخّر في التدوين، وتسليم خلافة الـــمسلمين لغير أهلها، وما نتج عن ذلك من مضاعفات، وأنتم تريدون أن تجتثّوا الرأس، فتنسفوا كل ما نسب للنبي(ص) من أحاديث صحيحة، بل قطعية الصدور بإجماع الأمة ، وهنا ينحصر الـــحل بوضع معايير و قواعد لتمييز الـــحديث الصحيح من السقيم ووضع أمارات للحديث الـــموضوع، كي نـــحفظ السنة القطعية والـــمتواترة من الضياع.

**النتيجة**

إنّ الروايات الـــموضوعة شكّلت للقرآنيين ذريعةً ليبنوا عليها جداراً يفصلوا من خلاله السنة عن القرآن، فلا بدّ لهذا الـــجدار الوهمي أن يسقط بجهود علماء الـــمسلمين لتنقية الثروة

Archive of SID

www.SID.ir

الروائية من الموضوعات، ليلتقي الحديث بالقرآن، ويصبّان في معينٍ واحد يهدي المسلمين إلى سعادتهم وكمالهم. وتكون السنّة التي في كتبنا ومصنفاتنا الحديثية هي عين السنة التي أوصانا النبي الأعظم(ص) بحفظها، حيث قال: «إنّي تارک فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (الترمذي، ٨/٢) ولا تعارض بين هذا الحديث وما ورد عن النبي(ص) من طرقٍ أُخرى: (كتاب الله وسنتي)، لأن عترة النبي امتداداً لسنته بشهادة القرآن والروايات.

ويمكن القول أنه لانقاش بين الشيعة وسائر المسلمين في اعتبار أساس الحديث الذي أمضاه القرآن، إلا أنه وعلى إثر التفريط الذي مارسه حكام صدر الإسلام في حفظ الحديث، والإفراط الذي صدر من الصحابة والتابعين في أهمية العمل بالحديث، فقد لقي الحديث مصيراً مؤسفاً، حتى بلغت الحال أن صار الحديث حاكماً ومقدّماً على القرآن، بل قد ينسخ حكم آيةٍ بالحديث. وقد عمل أعداء الإسلام على وضع الحديث ودسّه وتغييره، ممّا أطاح بوثوق الأحاديث واعتبارها، لهذا فقد فتش علماء الدين عن مخلص لهذا الوضع القائم، فأشادوا علم الرجال وعلم الدراية. وأما الشيعة، فبالإضافة إلى ضرورة تنقيح السند عندهم، اعتبروا أنه من الضروري مطابقة متن الحديث مع القرآن، ورأوا أنّ الأحاديث – وفقاً لذلک– على طوائف ثلاث:

- الموافقة للكتاب، وهي التي كانوا يعملون بها.
- المخالفة للقرآن، وكانوا لايعملون بها.
- الأحاديث التي لا يتحدّد مدى موافقتها أو مخالفتها للكتاب الكريم، وقد تركوا هذه الأحاديث وجعلوها في عداد المسكوت عنه.(الطباطبائي، د.ت: ٤١ )

**المصادر**

**القرآن الكريم**.

ابن سعد، **الطبقات الكبري**، بيروت، دار صادر، د.ت.

الهي بخش، خادم حسين، **القرآنيون و شبهاتهم حول السنة**، مكتبة الصديق، ١٩٨٩

الأمين العاملي، محسن، **أعيان الشيعة**، دمشق، مطبعة ابن زيدون، ١٣٧٠ ق.

الترمذي، محمد بن عيسي، **سنن الترمذي**، بيروت، دار إحياء السنة النبوية، د.ت.

Archive of SID

www.SID.ir

جوادي آملي، عبدالله ، **تفسير موضوعي قرآن كريم**، قم، مركز نشر إسراء، ١٣٨٢ه.
الحاكم النيشابوري، الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١ه.
الخطيب، محمد عجاج، **السنة قبل التدوين**، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٥ ق.
الخوئي، أبو القاسم، **البيان في تفسير القرآن**، بيروت، منشورات مؤسسة الأعلمي، ط ٣، ١٣٩٤ه-١٩٧٤م.
السيوطي، جلال الدين، **الإتقان في علوم القرآن**، بيروت، دار الفكر،١٤٢٩ه ـ ٢٠٠٨م.
سعد، رستم، **الفرق والمذاهب منذ البدايات**، الدار البيضاء،نشر أنوار، ط ١، ٢٠٠٨م.
شرف الدين العاملي، عبد الحسين، **المراجعات**، تحقيق حسين الراضي ،قم المقدسة، المجمع العالمي لأهل البيت (ع)، ١٤٢٦ه.ق.
الشهرستاني، علي، **منع تدوين الحديث**، قم، مؤسسة الإمام علي (ع)، ١٤١٨ه.
الطباطبائي،محمد حسين، **الميزان في تفسير القرآن**، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٣٩٤
ـــــــــــــ، **الشيعة في الاسلام**، دار الكتب الاسلامية، د.ت .
ـــــــــــــ، **قرآن در اسلام**، قم، دفتر انتشارات اسلامي، ١٣٧٢ش.
عتر، نور الدين، **منهج النقد في علوم الحديث**، دمشق، دار الفكر، ط ٢، ١٤٠١ه.
الكليني، محمد بن يعقوب، **الكافي**، بيروت، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ١٤٢٦ه -٢٠٠٥م.
المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار ، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣هـ .
مؤدب، سيد رضا، **مباني تفسير قرآن**، انتشارات دانشگاه قم، ١٣٨٦ه.ش.
متقي هندي، حسام الدين، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩ ق.
معرفة، محمد هادي، **پژوهش هاي قرآني**، قم، مؤسسة التمهيد، ط١، ١٤٢٣ه -٢٠٠٢م.
مهدوي راد، محمد علي، **تدوين الحديث عند الشيعة الإمامية**، نشر هستي نما، ط١، ١٤٣١ه، ٢٠١٠م

**فهرس المصادر الالكترونية والمجلات**

أحمد عبدالله ،من هم منكري السنة؟٢ كانون الثاني(يناير)٢٠١٠م (www.ansarsunna.com)
دانشنامه جهان اسلام، http://www.tolueislam.com
منصور، أحمد صبحي، لماذا القرآن أو (القرآن وكفى)، لعبد الله خليفة، ٥ تموز (يوليو)، ٢٠٠٦م (www.ahl-alquran.com). الكتاب لأحمد صبحي منصور لكنه نشر باسم عبدالله خليفة .
مزروعة، محمود محمد، شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، منتدى التوحيد،٢٠٠٥ (www.eltewhed.com)
ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة .

Archive of SID

www.SID.ir